الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

تخصص: لسانيات عامة

جماليات التّناسب الصوتي في القرآن الكريم
سورة المدثّر "أنموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس نظام (ل.م.د) في الأدب العربي

إعداد الطالبتين:
–دليلة سريج
–صابرين العباسي

إشراف الدكتور:
– عمر بورنان.

السنة الجامعية: 2018/2017

إهـداء

بعد أن وفقني الله عزّ وجل لإنجاز هذا البحث أهدي ثمرة جهدي إلى: أعظم شجرة في الوجود التي أو تني وكانت سببا في سعادتي أسرتي.

إلى من وصّى بهما الرحمن في ذكر الحكيم.

إلى أقدس مخلوقين وأعظم هبتين وأثمن جوهرتين أملكهما في الوجود إلى المعين الذي لا ينضب إلى أسطورة يخلدها كل زمان "والدي العظيمين".

إلى مصدر سعادتي إلى التي غمرتني بعطفها وحنانها في صغري ورافقتني بدعائها في كبري إلى شمسي التي تشرق دوما بلا غروب "أمي الحبيبة" حفظها الله.

إلى مثلي الأعلى في الصبر والتجلد، إلى من بث جوده وعطائه بلا حدود إلى من سعى إلى إرضاء حاجاتي وتحقيق غاياتي إلى قمري الذي أنار دربي فلو كان الحب وسام فأنت به جدير يا صاحب القلب الكبير "أبي العزيز" حفضك الله.

إلى شموع البيت وضيائه إلى أزاهير الربيع وإشراقه أمينة، هاجر، خولة، شعيب.

إلى كواكبي التي أضاءت فضائي ونجومي التي زينت سمائي إلى أعز النّاس على قلبي أختي لويزة، وإخوتي، جمال، خالد ،علي، عمر. إلى زوجات إخوتي: خديجة، سعاد.

إلى رفيقاتي دربي الجامعي ومن جمعني الله معهن في طلب العلم فتوطدت أواصر الصداقة والوفاء بيننا: دليلة، حسيبة، أسماء، رزيقة، جميلة.

إلى من شاركتهن الغرفة وأنا بلا إقامة، فعرفت معهن معنى الصداقة والحب فريدة، نصيرة، مريم.

صابرين

إهداء

بعد أن أعانني الله لسنوات في طلب العلم ها أنا اليوم أكرس هذا المعين الذي لا ينضب في إنجاز هذا البحث لأهدي ثمرة جهدي ونجاحي إلى:

من حملتني إلى بر الأمان ورافقتني دعواتها طيلة حياتي والتي ليس لها حدود في الطيبة والحنان "أمي الغالية"

إلى تاج رأسي وفخر بيتنا "أبي العزيز"

حفظهما الله.

إلى من كانوا قدوة لي في دروب الحياة وسندا لي في الصبر إخوتي الأعزاء: رابح، كريمة، حدة، علي، حميد، صالح وزوجة أخي "نبيلة"

إلى عصافير بيتنا: "أنفال، محمد أمين".

وإلى من شاركتهم لحظات الفرح والحزن ومن تقاسمت معهن حلاوة العلم ووجدت فيهن أخلص صفات الصداقة والأخوة رفيقات دربي:

"جميلة (إحسان)، صابرين، أمينة"

دليلة

كلمة شكر

أشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنجاز هذا العمل

كما أتقدم بالشكر لكل من ساعدني على إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ المشرف "عمر بورنان" ومساعدته القيمة في توجيهه

كما أود أن أشكر كل عمال المكتبة.

مقدمة:

بسم الله أجّل الأسماء وأسماها ثم إن المحمود بحق الله هو الله جل علاه وتباركت صفاته وأسماؤه وصلّى الله على نبيه المصطفى المختار وبعد:

لقد حظي الجانب الصوتي باهتمام كبير لدى الدارسين واللغويين حيث تضافرت جهودهم لدراسته باعتباره يحمل دلالة على حسن علاقة التآلف القائمة بين الأجزاء أو الأصوات، ومن بين المظاهر التي تناولها الدارسون هي التَّناسب الصوتي خاصة في القرآن الكريم، وعلى إثر هذا نطرح الإشكالية التالية:

-كيف يتحقق التَّناسب الصوتي في القرآن الكريم؟ فهذه الأخيرة دفعتنا لإنجاز بحثنا المعنون بـ "جماليات التناسب الصوتي في القرآن الكريم سورة المدّثر أنموذجا".

فكانت رغبتنا في معرفة واستكشاف ما يحتويه القرآن الكريم من جماليات وانسجام والتآلف في أصواته وكذا ميلنا إلى الدراسات الصوتية دافعا لنا في اختيار هذا الموضوع ودراسته حيث اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بدراسة أصوات اللغة عن طريق الوصف والتحليل الدقيق.

وللإجابة عن هذه الإشكالية اخترنا سورة (المدثّر) مدونة نطبق عليها فقسما بحثنا هذا إلى مقدمة وفصلين اثنين:

الفصل الأول: عنوانه (التناسب الصوتي) حيث تطرقنا فيه إلى تحديد المفاهيم الخاصة بموضوع بحثنا، ومنه قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: عنوانه (مفهوم التناسب الصوتي)، حيث أشرنا فيه إلى تعريف التناسب لغة واصطلاحا، وتعريف الصوت لغة واصطلاحا، ثم تعريف التناسب الصوتي.

المبحث الثاني: المعنون بـ (علم الأصوات) والذي تطرقنا فيه إلى كيفية حدوث الصوت ثم صفات الأصوات ومخارجها.

أما المبحث الثالث: فعنوانه (التناسب الصوتي في القرآن الكريم)، وتحدثنا فيه عن تآلف الأصوات وتناسبها وعن الفاصلة القرآنية ثم عن القيمة البلاغية والإيقاعية للفاصلة.

الفصل الثاني: عنوانه (دراسة تطبيقية في سورة المدثر) حيث قسمناه إلى مبحثين اثنين.

المبحث الأول: عنوانه (تعريف السورة وفضلها) حيث تطرقنا إلى التعريف الوصفي لسورة المدثر ثم فضلها.

المبحث الثاني: المعنون بـ (دراسة التناسب الصوتي في سورة المدثر) وأشرنا فيه إلى التناسب حيث مخارج الأصوات وصفاتها ثم التناسب من حيث الفواصل.

وفي الأخير ختمنا البحث بخاتمة حوت على أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الدراسة.

اعتمدنا في إنجاز البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: أصوات اللغة لمحمود عكاشة، الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، البرهان في علوم القرآن للزركشي ،التناسب البياني في القرآن لأحمد أبو زيد. إضافة إلى بعض المصادر مثل: لسان العرب لابن منظور والكتاب لسيبويه.

غير أنه خلال إنجازنا لهذا البحث واجهتنا عدة صعوبات تمثلت في عجزنا في الحصول على بعض المراجع التي يتطلبها بحثنا وعدم توفرها في المكتبات، إضافة إلى ضيق الوقت وتقاطع فترة إنجاز البحث مع ضروريات أخرى. وبعض العقبات في الجانب التطبيقي، لكن شغفنا بهذا الموضوع أمدّنا بالقوة والعزيمة وحب الإكتشاف أكثر. فلنا عظيم الشرف التعامل مع القرآن الكريم.

I- مفهوم التناسب الصوتي:

1- 1- مفهوم التناسب (لغة، اصطلاحا):

أ- **لغة:** وردفي لسان العرب لابن منظور: «نَسَبَ: النَّسَبُ: نسب القرابات وهو واحد الأنساب، ابن سيده: النسبةُ. والنسبةُ والنّسَبُ: القرابة. وقيل: هو في الآباء خاصة. وقيل: النّسْبَةُ مصدر الانتساب والنسبة: الاسم التهذيب ... وناسَبَهُ: شاركه في نسبه. والنسيب المناسب والجمع نُسَبَاء وأنْسِبَاءُ. وفلان يناسِبُ فلان فهو نسيبه أي قريبه...إلخ.

وتقول ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة.

وأنسب الريح: اشتدت واستافت التراب والحصى والنسيب والنَيْسَبَان الطريق المستقيم الواضح. وقبل هو الطريق المستدق، وطريق النمل والحية ...»[1].

وجاء في معجم العين للخليل: «نَسَبَ: النّسَبُ: في القرابات، فلان نِسْبي وهؤلاء أنسبائي، ورجل نَسَبي منسوب: ذو حسب ونسب، والنسبة: مصدر الانتساب والنسبة الاسم، النّسبُ في الشعر: ما كان نسبيا، شعر منسوب وجمعه مناسيبٌ، وهو الشعر في النساء، وما أحسن نسيبه، أي ما أحسن في النساء. قال الكُمَيْتُ: إذا أتت أفيد من

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، ط4، 200-2005، مادة نسبَ (بتصرف).

أشعارك النسب، والنسيب والنسيبان: الطريق الواضح طريق النمل والحية وطريق حُمُر الوحش إلى لمورد، وهو طريقة واحدة»[1].

ويقول الزركشي ت 794 هـ: «واعلم أن المناسبة علم شريف تتحرر به العقول وتعرف به قدر القائل فيما يقول: والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلان أي يقرب منه، ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتحصل، كالأخوين وابن العم وإن كان مناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة»[2].

ويقول الزبيدي ت 1205 هـ: «ومن المجاز: المناسبة المشاكلة، يقال بين الشيئين مناسبة وتناسب أي مشاكلة وتشاكل، وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة»[3].

يتضح مما سبق أن مادة "نَسَبَ" تجمع أكثر من معنى، فهي تعني الاتصال والتشابك ومعنى الاشتراك ف النسب طولا كالآباء والأبناء، وعرضا كالنسب والقرابة بين الإخوة وبين الأعمام ومعنى المشابهة والمشاكلة.

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين تح: عبد الحميد هنداوي، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، مادة نسب.

(2) الزركشي، البرهان في علم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار إحياء الكتب العربية البايلي، الحلي وشركائه، ط1،1376–1957م، ص35.

(3) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج4، دار الهداية، ط2، مادة نسب.

ب- تعريف التَّناسب اصطلاحا:

لقد وردت العديد من التعريفات الاصطلاحية للتَّناسب نجد منها: يقول البقاعي ت 885 هـ: «علم المناسبات في القرآن: علم تعرف منه عقل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة»[1].

يقول القاضي أبو بكر بن العربي ت 543 هـ: «وهو ارتباط آيات القرآن بعضها ببعض، حتى يكون كالكلمة الواحدة، منسقة المعاني منظمة المعاني»[2].

يتضح من التعريفات السابقة لمصطلح المناسبة أو التناسب أن هناك تقاربا شديدا بين علم المناسبة وعلم البلاغة، مما حدا بالبقاعي أن يجعله سر البلاغة إذ أن المناسبة عند البلاغيين هي ترتيب المعاني المتشابهة والمنسقة، وعلم المناسبة كما هو معرفة علل الترتيب للأجزاء فالمناسبة البلاغية هي التوخي والاتساق والترتيب، وعلم المناسبة هو معرفة علل وأسباب هذا الترتيب والتآخي.

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، 1404 هـ، ص 06.
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 36.

ب-تعريف التناسب اصطلاحا:

يقول د. أحمد يحي: «وأما دلالته الاصطلاحية فإن الناظر المصادر البلاغية لا يكاد يظفر بتعريف محدد يتفق عليه البلاغيون، فمنهم من أشار إليه شارحا مفهومه اللغوي الاستشهاد ومنه من أتى بالأمثلة دون أن يحدد دلالته الاصطلاحية. إلا إشارات تضمنت دلالته الاصطلاحية التي لم تختلف عن دلالاته اللغوية كثيرا»[1].

يظهر من خلال قول أحمد يحي أن هناك مقارنة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للتناسب لأن من التعريفين ينصب حول أن التناسب هو القرابة والترابط.

1-2: تعريف الصوت:

أ- لغة:

الأصوات هي اللبنات التي تشكل اللغة، أو المادة الخام التي تبنى منها الكلمات أو العبارات، فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة، لذلك ذهب العديد من العلماء، إلى تعريف الصوت خاصة في الجانب اللغوي، فنجد ابن منظور في لسان العرب يعرفه: «الصوت: الجرس معروف مذكر والجمع أصوات، وقد صات يصوت ويصات صوتا، أو صات وصوّت به: كله نادى ويقال صوّت تصويتا فهو مصوت، وذلك إذا

(1) د. أحمد يحي محمد، التناسب في سورة محمد: دراسة بلاغية، دار النشر آداب الرافدين المدينة، ط5، العدد 60، 2011، ص04.

صوّت بإنسانٍ فدعاه ... وفي الحديث: كان ابن عبّاسرجلا صيّتًا أي شديد الصوت»[1].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: «صوّت به، ورجل صيّتٌ، وصوتٌ صيّتٌ، وساب المُخَبّلُ الزبرقان فقال لأصحابه: كيف رأيتموني؟ قالوا: غلبك بريق سيّغٌ وصوت صيّتٌ، وله صوت في الناس وصيّتٌ، وذهب صيتهم فيهم»[2].

من خلال هذه التعاريف يتضح أن المعنى اللغوي للصوت هو ذلك الجرس الذي يُسْمع من الإنسان عندما يتكلم أو ينادي شخصا بعيدا عنه.

ب- اصطلاحا: يعرف إبراهيم أنيس الصوت بقوله: «الصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق، إليها الشك أن لكل صوت مسموع يستلزم جسم يهتز على أن تلك الهزات لا تدرك بالعين في بعض الحالات»[3]. ويتضح أن الصوت الإنساني هو كل الأصوات التي تنشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة.

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص302.

(2) الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط3، 2003، ص 486.

(3) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط4، 1999، ص09.

فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل من خلال الهواء الخارجي، على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن.

أما صبري المتولي فيعرف الصوت اللغوي: «أصغر وحدة منطوقة مسموعة يمكن الإحساس بها عند التحليل اللغوي ولا يمكن النطق بها إلا من خلال مقطع يكون فيه الصامت مصحوبا بالصائت»[1].

ومما سبق نلاحظ أن الصوت يحدث نتيجة حركة أو ذبذبة ويحتاج إلى وسط ينتقل فيه ليصل إلى الأذن الإنسانية.

«فدرجة الصوت تتوقف على سن الإنسان فالأطفال والنساء أحدُّ أصواتا من الرجال، وذلك لأن الوترين الصوتيين للأطفال والنساء أقصى وأقل فخامة، ويؤدي ذلك إلى زيادة في سرعتها وعدد ذبذباتها في الثانية، وهما عند الرجال أطول مما يترتب عليه عمق في صوت الرجال، لأن عدد ذبذبات الوترين الصوتيين الطويلين أقل كثيرا مما عند النساء والأطفال»[2].

(1) صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2006، ص 29.

(2) ينظر: نايف سليمان وآخرون، مستويات اللغة العربية، دار الصفاء، القاهرة، ط1، 2000، ص14.

لهذا يتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق مع أوضاع معينة محددة أو تحريك هذه الأعضاء بطرق محددة أيضا ومعنى ذلك أن المتكلم لابد أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على أصوات لغوية.

1-3- مفهوم التناسب الصوتي:

تمتاز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها بسعة المدرج الصوتي، سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها التي تؤدي إلى التوازن والانسجام والتناسب بين الأصوات، أضف إلى ذلك أن العرب يراعون في اجتماع الحروف في الكلمة الواحدة وتوزعها وترتيبها الانسجام والتناسب الصوتي والتآلف الموسيقي.

لذلك يعرف التناسب الصوتي على أنه: «إحداث مماثلة بين أصوات اللغة في سياق لغوي واحد على مستوى الصوائت قصيرة أو طويلة، أو الصوامت أو الصيغ أو التراكيب هذه المماثلة تؤدي إلى تغيير بعض الصيغ بتغيير بعض الصوائت قصيرة أو طويلة، أو تناسب الفواصل»[1].

فهذا التناسب بين الأصوات تخشع له القلوب، وتهز به النفوس في القرآن الكريم.

(1) إبراهيم جميل محمد إبراهيم، أثر التناسب الصوتي في الإعراب، دراسة تطبيقية على آيات من القرآن، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الدمام، ط1، 1922، 2005، ص3.

II- علم الأصوات:

1 1 كيفية حدوث الصوت اللغوي:

إن الصوت هو الآلة التي يتم بها النطق، فلولا الصوت لما استطعنا أن ننتج كلاما. ولابد أن تكون لهذه العملية طريقة أو كيفية يتم عن طريقها حدوث الصوت.

«عندما يستعد الإنسان للكلام العادي، يستنشق الهواء فيمتلئ صدره به قليلا، وإذا أخذ في التكلم فإن عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتي، ثم تتقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات وتواصل عضلات البطن في تقلصها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى، فإذا فرغ منها فإن عملية الشهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة استعدادا للنطق بالجملة الثانية وهكذا.

ويوضح الدكتور رمضان عبد التواب عملية إنتاج الصوت بقوله: "إن الهواء الخارج من الرئتين، إما أن يصادف مجراه مسدودا سدا تاما، عند أية نقطة في الجهاز النطقي ما بين الحنجرة والشفتين. وإما أن يصادف في طريقه تضييقا في المجرى. لا سدّ فيه، بحيث يسمح هذا التضييق للهواء بالمرور، ولكن هذا الهواء يحتك بنقطة التضييق هذه".

معنى ذلك أن الصوت اللغوي يحدث عند عملية الزفير، وذلك في أثناء خروج الهواء من الرئتين حيث لا بد من أن يعترضه عضو أو عضوان من أعضاء النطق يتحكمان في مروره»[1].

ما يمكن قوله هو أن كيفية مرور الهواء عبر الرئتين هي التي تحدد صفات الأصوات الخارجية من مواضعها وتبين طريقة اختلاف نطقها.

1-2- صفات الأصوات:

لقد اهتم الدارسون القدامى بتصنيف الأصوات حسب صفاتها السمعية حيث دار هذا التصنيف حسب مخارجها الفيزيولوجية ووزعوا الحروف على أساس صفاتها ومن بين هذه الصفات التي لها ضد حيث نذكر منها:

أ- الصفات التي لها ضد:

1- الجهر والهمس: ومعنى الجهر: «هو تذبذب الحبال الصوتية خلال النطق بصوت معين فيسمى الصوت مجهورا، وفي حالة عدم تذبذب الحبال الصوتية خلال النطق يوصف بأنه مهموس»[2].

(1) فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2011، الطبعة الأولى ص 24-25.

(2) محمود عكاشة، أصوات اللغة، أكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005، ص 5-6.

«وأما عن الأصوات المجهورة فقد حصرها سيبويه في تسعة عشر حرفا في قوله: "فأما المجهورة فالهمزة، الألف، الغين، القاف، الجيم، الياء، الضاد، النون، الراء، الطاء، الدال، الزاي، الظاء، الذال، الباء، الميم".

في حين يعرف الأصوات المهموسة بقوله: "أما المهموسة فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس، ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه وهي: الهاء، الحاء، الخاء، الكاف، الشين، التاء، الصاد، الثاء، الفاء"»[1].

وهذا يعني أن الصوت المجهور هو صوت قوي والصوت المهموس صوت ضعيف.

2- الشدة والرخاوة: «الشدّة هي خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج، وأما الرخاوة فهي خروج الصوت مستمرا في شرب للهواء محتكا بالمخرج»[2]. وفي هذا الموضوع نجد سيبويه (ت 180 هـ) يقول: «"ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، القاف، الكاف، الطاء، التاء

(1) أبو بشير عمرو بن عثمان بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح، عبد السلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982، ص434.

(2) محمد عكاشة، أصوات اللغة، ص 99.

الدال، الباء". والأصوات الرخوة هي: الهاء، الحاء، الطاء، الضاد، العين، الخاء، الشين، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الفاء"»[1].

وثمة تصنيف ثالث يسمى الأصوات المتوسطة: «يجعله ابن جني ت 392 هـ بين الشديدة والرخوة وهي ثمانية: الألف والعين، الياء، اللام، النون، الراء، الميم، الواو ويجمعونها في لفظة لم يروّعنا»[2].

3- الاطباق والانفتاح: يعرف سيبويه الاطباق بقوله: «"هي التي إذا وضعت لسانك في مواضعن إلى ما حاذى الحنك الأعلى فإذا وضعت لسانك فيها بين اللسان في الحنك إلى موضع الحروف وهي الصاد، الضاد، الطاء، والظاء"»[3].

أما الانفتاح فيعرف بأنه: «هو صيغة تتميز بها غالبية الأصوات وتتشكل هي أيضا بأن ينفتح ما بين اللسان والحنك بحيث يسمح بجريان الهواء دون عائق عند النطق به»[4].

فالأصوات المنفتحة هي كلها ما عدا المطبقة.

(1) سيبويه، الكتاب، ج4، ص 435، (بتصرف).
(2) ينظر حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ص42.
(3) سيبويه، المصدر السابق، ج4، ص436.
(4) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار الصفاء، عمان، ط1، 1998، ص273.

4- الاستعلاء والاستفتال:

أ- **الاستعلاء:** «هو صفة لبعض الأصوات الخلفية، وهي القاف، الغين، الخاء، وهي الأصوات التي يرتفع اللسان جزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظا مفخما، ولكن دون مبالغة في غليظ النطق»[1].

من هذا التعريف للاستعلاء نفهم أنه عند النطق بالصوت يرتفع اللسان كما أن الاستعلاء أيضا صفة من صفات الأصوات المطبقة وهي: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء.

أما الاستفتال فيقصد به: «انخفاض عند المتكلم بالحرف حال خروجه من الحنك إلى قاع الفم، وحروفه ما عدا حروف الاستعلاء، وعدّ بعضهم الباء أكثر الأصوات المستقلة اتجاها إلى قاع الفم وهي تخرج من وسط اللسان مع ما كان يحاذيه من الحنك الأعلى»[2].

5- الذلقية والمصمتة: الذلقية صفة تلحق بعض الأصوات وهي: «الخفة والسلامة على اللسان وسميت بالذلقية لأنها تخرج من ذولق اللسان، وتتكون من ستة أصوات وهي: الرّاء، اللام، النون، الفاء، الباء، والميم»[3].

(1) محمود عكاشة، أصوات اللغة، ص116.
(2) عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن، من منظور علم الأصوات الحديث، ص65.
(3) نفسه، ص 278.

وتعتبر الأصوات غير الذولقيةمصتة: «والحروف المصتة لا تنفرد في كلمة مركبة من أكثر من ثلاثة حروف كلها أصلية، إلا أن يكون معها أحد الحروف الذلقية ليعادل بخفته ثقل الصمت»[1].

ب- الصفات التي ليس لها ضد: «وهي صفة اختص بها صوت الراء إذ قالوا في الراء أنه شديد جرى فيه الصوت التكريرة وانحرافه إلى اللام فتجافى الصوت كالرخوة ولم يكرر ولم يجر الصوت فيه وهو الراء»[2].

وإذا صحب هذا التكرار ارتعاد اللسان فيكون خطأ في القراءة للقرآن عند الذين يعانون من اضطرابات نطقية.

2- الصفير: «وهو الحدة في الصوت كالصوت الخارج من ضغط الثقب »[3].

وأصوات الصفير هي الزاي، السين، الصاد.

3- التفشي: ويعرف بأنه: «وهو الذي يشغل اللسان أثناء النطق به مساحة أكبر بين الغار واللثة، وهو وصف صادق على الشين ولولا التفشي لصارت السين شينا، كما

(1) ينظر: حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص65.

(2)علاء جبري، المدارس الصوتية عند العرب، النشأة والتطور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2006، ص72.

(3) نفسه، ص 68.

يحدث لدى بعض العيوب النطقية ولاسيما الأطفال الذين لا يجدون عناية ممن حولهم من الكبار»[1].

4- اللين: يعتبر أيضا صفة من صفات الأصوات: «وهي صفة تجمع بين السهولة واليسر في التحقيق الصوتي لأن مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها من الأصوات، حيث يخرج الصوت حدا طليقا دون أن تعترضه حواجز»[2].

5- الاستطالة: ويقصد بها: «أن يستطيل مخرج الصوت حتى يتصل بمخرج آخر وذلك وصف ينطبق على الضاد القديمة الرخوة والتي تخرج مما بين جانب اللسان أو شماله، من بين الجانبين الأكثر من الأيمن ولذلك وصفت بالاستطالة قديما»[3].

6- القلقلة: حيث أطلقت هذه الصفة على: «أصوات القاف والجيم، الطاء والدال والباء، لأنهما أصوات يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر»[4]. وتجمعها كلمة "قطب جد".

7- الانحراف: قال سيبويه: «إن الراء حرف شديد جرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى في الصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يمر فيه الصوت»[5].

(1) محمود عكاشة، أصوات اللغة، ص 117، 118.
(2)عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص28.
(3) حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العرب، ص44.
(4) ينظر: علاء جبر، المدارس الصوتية عند العرب، ص70.
(5) سيبويه، الكتاب، ج4، ص435.

فهما صوتان متوسطان بين الشدة والرخاوة، ومن الحروف النسبية وهي صفة لازمة لحرفي اللام والراء، لانحراف مخارجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما.

1-3- مخارج الأصوات:

لقد رتب اللغويون القدامى وعلماء التجويد مخارج الأصوات بدءًا من الجوف أو الحلق وانتهاءً بالشفتين.

تعريف المخرج:«هو مكان إغلاق مجرى الهواء أو تضييقه سواء كان ذلك في المزمار أو في البلعوم أو الفم ومن هذه المخارج نجد:

1- المخرج الشفوي (bilausial): ينتج عن انضمام الشفتين معًا وأصوات هذا المخرج هي: الباء، الميم والواو»[1].

2- المخرج الشفوي الأسناني (labiodentel): وينتج الصوت الشفوي الأسناني الوحيد وهو الفاء، وهو موجود في اللغة العربية وهو يعني «انضمام شفا واحدة مع الثنايا الأمامية والشفة، المقصود هنا يعني الشفا السفلى»[2].

ولم يختلف القدماء عن المحدثين في استخدام مصطلح [الأسنان] شفوي، فالفاء والباء والميم عند الخليل جزء من الحروف الذلاقية الستة وهي: ر، و، ل، ن، ف، ي،م).

(1) نور الدين عصام، علم الأصوات اللغوية، فونيتكا، دار المكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط1،1996، ص218.
(2) قاسم البرسيم، علم الأصوات العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص122.

3- المخرج الأسناني (Dantal):«وهو ما بين الأسنان وفي هذا المخرج يوضع طرف اللسان بين الشفتين وقد يلمسها ويقترب منها وهي: (الثاء، الذال، الظاء)».

وقد جعل الخليل هذه الأصوات من اللثة الواقعة بعيدة عن منطقة اللثة، لأنها أطراف الثنايا.

المخرج اللهوي: «في هذا المخرج يلتقي أقصى اللسان باللهاة، أو يقترب منها ويوجد منه عند المحدثين صوت واحد وهو "القاف" غير أن الخليل في ترتيبه للمخارج جعل القاف والكاف لِهويان لأن مبدأهما من اللهاة»[1].

5- المخرج الحلقي: ويقصد به: «هو الذي يتقلص فيه جدار الحلق عند المحدثين ومنه صوتان هما "العين والحاء" فعند النطق بهذين الصوتين يندفع الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى.

6- المخرج الحنجري: في هذا المخرج يحدث غلق الأحبال الصوتية والصوت الحنجري المصاحب بغلق الأحبال الصوتية "الهمزة" وقد يحدث انفتاح للأحبال الصوتية والصوت الحنجري المصاحب لفتح الأحبال الصوتية "الهاء"»[2].

لهذا شبه بعض القدماء الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج منه مستطيلا أملس ساذجا، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراح بين أنامله

(1) محمود عكاشة، علم اللغة، ص 58.

(2) صلاح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات المقارن، ص 39.

اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوتا لا يشبه صاحبه، وكذلك إذا قطع الصوت في الحق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة.

لذلك فإن التناسب هو أهم الأسباب الموضوعية لحسن المسموعات عامة، لهذا لايظهر تناسب الأصوات من تنافرها، إلا في حال التأليف إما في لفظة مفردة وإما في ألفاظه مؤلفة، لأن التأليف هو المسرح الذي تلتقي فيه الأصوات، على اختلاف مخارجها وصفاتها، فتتداخل أجراسها وتتجاوب نغماتها.

المخارج: وهي على الترتيب التالي:

«1- من الجوف، مخرج الألف، على رأي أهل التجويد.

2- من أقصى الحلق مخرج الهمزة والهاء.

3- من وسط الحلق مخرج العين والحاء.

4- من أدنى الحلق مع أول الفم مخرج الغَين والخاء.

5- من أقصى اللسان، مخرج القاف.

6- من أسفل من ذلك إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

7- من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء

8- من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

9- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان فويق الضاحك مخرج اللام.

10- من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون المتحركة.

11- من طرف اللسان من فوق مع مغارز الثنايا مخرج الراء.

12- بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

13- بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.

14- بين أطراف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.

15- من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.

16- مما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

17- من الخياشيم مخرج الغنة والنون الخفيفة الساكنة»[1].

وللغويين المحدثين آراء وعبارات خاصة في تحديد هذه المخارج لا يتسع المجال لذكرها.

III- التناسب الصوتي في القرآن الكريم.

[1]أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 289-290.

1-1-تأليف الأصوات وتناسبها: لا يظهر تناسب الأصوات من تنافرها إلا في حال التأليف، إما في اللفظة مفردة، وإما في ألفاظ مؤلفة، لأن التأليف هو المسرح الذي تلتقي فيه الأصوات على اختلاف مخارجها وصفاتها، فتتداخل أجراسها، وتتجاوب نغمتها وعلى قدر تناسبها في الامتزاج تكون حلاوة الإيقاع ورشاقة الصياغة.

لهذا نحتاج إلى تقديم نبذة عن طرق التأليف التي تتيح للأصوات أن تكون متناسبة.

تناول البلاغيون القدماء هذه المسألة ضمن حديثهم عن تنافر الأصوات وتلاؤمها وقد اختلفت آراؤهم، فذهب جماعة منهم: ابن دريد وابن جني، وابن سنان الخفاجي إلى اعتبار تباعد مخارج الأصوات علة تناسبها في التأليف.

وذهب جماعة أخرى منهم: الخليل، أبو الحسن الرماني وبهاء الدين السبكي إلى اعتبار الاعتدال علة تناسبها، واعتبار التباعد الشديد والتقارب الشديد سببًا لتنافرها.

1- رأي ابن دريد: «اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة كلفة جرسًا واحدا وحركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها، ولوجدت

الحاء في بعض الألسن تتحول هاء وإذا تباعدت مخارج الحروف جنس وجه التأليف»[1].

كما قال في الجمهرة: «واعلم أنّه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحدة في كلمة لصعوبة ذلك على الألسنة وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا مثل "أح" بلا فاصلة مثل "أحد" و"أهل" و"عهد" غير أن من شأنهم إذا أرادوا هذا أن يبدؤوا بالأقوى من الحرفين ويؤخرون الألين.

2- رأي ابن جني: ذكر في "سر صناعة الإعراب" أن التأليف ثلاث أضرب: أحدها: المتباعدة، وهو أحسنه، وهو أغلب كلام العرب، والثاني الحروف المماثلة، وهو ما يلي الأول في الحسن والثالث: الحروف المتقاربة، فإما رفض وإما قل استعماله، وإنما كان أقل من المتماثلين وإن كان فيهما ما في المتقاربين وزيادة، لأن المتماثلين يخفان الإدغام.

3- رأي ابن سنان الخفاجي: ذكر من شروط فصاحة اللفظ والتأليف أن يكون من حروف متباعدة المخارج، وقال: «وعلّة هذا واضحة، وهي أن الحروف التي هي أصوات تجرى على السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك أن الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ولهذا كان البياض مع السواد

(1)أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، دراسة في التنظيم المعنوي والصوتي، كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء،مطبعة النجاح 1992، ص 292-293.

أحسن منه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصفر،وبعدما بينه وبين الأسود وإذا كان هذا موجودا لا يحسن النزاع فيه، كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة كالعلة في حسن النقوش، وإذا مزجت من الألوان المتباعدة».

وأورد الرماني الذي ذهب فيه نقلا عن الخليل بن أحمد إلى جعل التباعد الشديد والتقارب الشديد بين الحروف سبب تنافرها في التأليف، وأنكره، وأكد أن التنافر ليس في بعد ما بين مخارج الحروف، وإنما هو في القرب وقال: «ويدل على صحة ذلك الاعتبار»[1].

فإن هذه الكلمة "أَلَمَ" غير متنافرة وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج لأن الهمزة من أقصى الحلق، والميم من الشفتين واللام متوسطة بينهما وعلى مذهبه (الرماني) كان يجب أن يكون هذا التأليف متنافرا، لأنّه على غاية ما يمكن من البعد، وكذلك "أم" و"أو" لأن الواو من أبعد الحروف من الهمزة، وليس هذان المثلان مثل "عح" و"سر" لما يوجد فيهما من تنافر لقرب ما بين الحرفين في كل كلمة، ومتى اعتبرت جميع الأمثلة لم تر للبعد الشديد وجها من التنافر على ما ذكره، فأما الإدغام والإبدال فشاهدان على التنافر في قرب الحروف دون بعدها لأنهما لا يكادان يردان في الكلام إلا فرارا من تقارب الحروف.

[1] أحمد أبو زيد، نفس المرجع السابق، ص 294-294.

رأي الروماني: يرى أبو الحسن الروماني أن التأليف على ثلاثة أوجه: متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا، وأن السبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف وكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما.

والتعديل بين الحروف عند الروماني هو أن تكون شديدة التقارب ولا شديدة التباعد في مخارجها.

وقال:"والتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد. وذلك يظهر بسهولته على اللسان، وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام"[1].

وقال: «وبعض الناس أشد إحساسا بذلك وفطنة له من بعد بعض كما أن بعضهم أشد إحساسًا بتمييز الموزون من الشعر من المكسور واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والأخلاق».

رأي بهاء الدّين السبكي: «يرى أن تناسب الأصوات في التأليف يكون في الاعتدال، وأن التنافر بينهما يكون إما لتباعد الحروف جدا أو لتقاربها جدا وقال: «ويشبه استواء تقارب الحروف وتباعدها في تحصيل التنافر استواء المثلين اللذين هما في غاية

(1) نفس المرجع السابق، ص295

الوفاق، والضدين اللذين هما في غاية الخلاف، في كون كل من المثلين والضدين لا يجتمع مع الآخر، فلا يجتمع المثلان لشدة تقاربهما، ولا الضدان لشدة تباعدهما، وحيث دار الحديث بين الحروف المتباعدة والمتقاربة، فالمتباعدة أخف.

وقال: «إذا تقرر هذا فاعلم أن أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى فهما شيئان في الاستعمال.

«وأقل الجميع استعمالا ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط

وأحسن التراكيب ما تقدمت فيه نقله الانحدار من غير ظفرة بأن ينتقل من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى، أو من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط، ودون هذين ما تقدمت فيه نقله الارتفاع من غير ظفرة.

وأما الرباعي والخماسي، فعلى نحو ما سبق في الثلاثي، ويخص ما فوق الثلاثي كثرة استعماله على حروف الذلاقة، لتجير خفتها ما فيه من الثقل»[1].

رأي ابن الأثير: إن ابن الأثير له رأي مخالف كما ذكرنا سالفا «فهو لا ينكر أن يكن تباعد مخارج الحروف من أسباب تناسب الأصوات وحسن التأليف، ولكنه يقول: إن

(1) نفس المرجع السابق، ص295.

حسن الألفاظ لا يعرف من جهة تباعد المخارج، وإنما يعرف من جهة حاسة السمع، وإذا نظر في ما استحسنه السمع وجد متباعد المخارج، وكذلك إذا نظر في ما استقبحه وجد متقارب المخارج واستحسانها واستقباحها إنما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده.

وذكر بعض الشواذ التي شذت هذه القاعدة وأكّد أن مخارج الحروف لا تعتبر في حسن التأليف.

ونلخص من هذا العرض إلى أن آراء القدماء في أسباب تناسب الأصوات في التأليف وتراوحت بين التعليل الموضوعي الصوتي والتعليل الذاتي الذوقي.

فالذين تحدثوا عن تباعد مخارج الحروف وتقاربها والاعتدال بينها في التأليف أرادوا أن يبحثوا عن علة موضوعية. لتناسب الأصوات أو تنافرها، وتستمد من صورة امتزاج الأصوات عند التأليف، والذين تحدثوا عن حاسة السمع باعتبارها المعيار الذي يعرف به التناسب والتنافر في تأليف الأصوات أرادوا أن يجعلوا العلة في ذلك ذاتية ذوقية.

ومهما يكن فإن التناسب هو أهم الأسباب الموضوعية بحسن المسموعات عامة يقول ابن خلدون «والحسن في المسموع، أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة، وذلك

أن الأصوات لها كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة وغير ذلك، والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن»[1].

1 2 تناسب الفواصل:

أ- **تعريف الفاصلة:** لقد أوردت العديد من الكتب تعريفات للفاصلة القرآنية حيث عرّفت على أنها:

❖ رؤوس الآيات وقيل هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع.

«وقال الرماني: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن أفهام المعاني"»[2]. وهو يعني هنا أن الفاصلة تحمل أمرين: المعنى والمبنى، فكلاهما يطلب الآخر. «وقال الداني: "هي كلمة آخر الجملة".

وقد فرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي فقال: "أمّا الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس آية. وكذلك الفواصل يكن رؤوس الآي وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين".

(1) أحمد أبو زيد، نفس المرجع السابق، ص296.

(2) تحسين فاضل عباس، الانسجام الصوتي في النص القرآني، دار الرضوان عمان، الأردن، ط1، 2012، ص129.

واستدل على رأيه هذا بما ذكره سيبويه في تمثيل القوافي بقوله تعالى: ﴿يوم يات﴾ (هود: 105). وقوله أيضا: ﴿ما كنّا نَبْغِ﴾ (الكهف: 64). وهذه الآيات غير رأس آية بإجماع مع ﴿إذَا يَسْرِ﴾ (الفجر: 03) وهو رأس آية باتفاق. وناقش الجعبري رأي الداني ورد عليه بثلاث حجج هي:

- أن ما ذهب إليه خلاف المصطلح.

-أن ما مثل به سيبويه لا دليل له فيه، لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية.

-أنه -أي الداني- يلزمه إمالة ﴿من أعطى﴾ سورة الليل: لأبي عمرو بن العلاء»[1].

لهذا سميت الفاصلة بهذا الاسم لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها.

ومن هذه الآراء التي عرضت يتبين ما واجه العلماء من صعوبة في تحديد الفاصلة وتعريفها ويرجع السبب في هذه الصعوبة إلى تنوع أشكال الفاصلة القرآنية وتعدد صورها فقد تكون كلمة وقد تكون مقطعا من كلمة، وقد تكون جملة.

(1)أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص349-350.

«وقد فطن سيد قطب إلى شيء من هذا حين قال: "إن الفواصل في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرفا متحدا، ولكنها إيقاع متشابه مثل: بصير، حكيم، مبين، مريب، أو مثل: الألباب، الأبصار"»[1].

ما يمكن قوله هو أن الفاصلة ظاهرة أسلوبية قرآنية واضحة المعالم وبها تفرد القرآن من النثر والشعر وهي من أبرز الخصائص التي جعلته نحوا جديدا من أنحاء البيان وطريقا فريدا من طرق التعبير.

«وقد قصر المتقدمون ومنهم الرماني على النظم القرآني نافين السجع عنه وتبعه الباقلاني في ذلك ونقل الأشعرية عنه هذا ونصّ عليه أبو الحسن الأشعري، ولعل تعريف الزركشي هو الأكثر تداولا: إذا قال: "الفاصلة هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع" فالتعريفات متقاربة والمفهوم مختلف بين أصحاب إعجاز القرآن وبين البلاغيين، فأصحاب الإعجاز أرادوا أن يخصصوا للقرآن الكريم مصطلح الفواصل، ولما كان قسم من الفواصل القرآنية توافق السجع جعلها البلاغيون سجعا»[2].

إن الفاصلة تسهم بشكل هام في فهم المعاني وتبسيطها وإعطائها حلاوة ورونقا عند القراءة، وذلك عن طريق تشاكل حروفها.

(1)أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص 351.

(2)عباس تحسين فاضل، المرجع السابق، ص129.

1- 3- القيمة البلاغية والإيقاعية للفاصلة:

تطرق الدارسون للإعجاز القرآني إلى أهمية القيمة التي تحملها الفاصلة القرآنية فمنهم من رفع من قيمتها، ومنهم من قلل من قيمتها.

«للفاصلة في نظم القرآن قيمة هامة تفوق قيمة القافية في الشعر. بل لعلها أهم عنصر في قواعد التشكل الإيقاعي، لهذا الكتاب المعجز وقد وقف عندها دارسوا الإعجاز فتجادلوا حول تسميها سجعا، وتحدثوا عن مخالفتها لقافية الشعر واختلفوا في قيمتها. فذهب معظم المعتزلة إلى الرفع من قيمتها والتنويه بشأنها وإلى عدّها من أوجه بلاغة القرآن وإعجازه وذهب الأشاعرة بزعامة عبد القادر الجرجاني إلى التقليل من قيمتها والحق أن قيمة الفاصلة في بلاغة النظم القرآني وحلاوة إيقاعه حقيقة لا تقبل المراء وما كان للقرآن أن يحافظ عليها ويختارها بعناية فيأتي بها متمكنة في موضعها مستقرة في نسقها لو لم لها شأن كبير في بلاغته وتحقيق أهدافه.

ولا شك أن للكلمة أو الجملة أو المقطع الذي تختم به الآية قيمة خاصة لأنه عنصر يؤدي وظيفة مزدوجة في نظم الآية: فهو من ناحية يتصل بالمعنى ويتممه، ومن ناحية أخرى يتصل بنظام الفواصل وينسقها، ولهذا كان حظه من العناية أكبر. وقد أشار العلماء إلى طرف من قيمة الفاصلة عندما لاحظوا أنها تقع عند الاستراحة لتحسين الكلام. وكذا عندما لاحظوا أيضا أن كلمة المقطع منها كثيرا ما تأتي مختومة

بحروف المد أو اللين وإلحاق النون، وأوضحوا أن الحكمة من ذلك هي وجود التمكن من القطرين بذلك»[1].

لذلك اعتنى القرآن بالجرس والإيقاع اعتناءه بالمعنى وهو بذلك يتخير الألفاظ تخيرا يقوم على أساس تحقيق الانسجام، مع جو الآية وجو السياق.

قيمة حروف اللين في الفاصلة القرآنية:

لعل من أبرز المظاهر التي تتجلى فيها قيمة الفاصلة القرآنية هي حروف اللين التي تضفي نوعا من الإطراب والحلاوة وهذا ما يمكن ملاحظته عند التوقف.

«إن قيمة الفاصلة القرآنية تتجلى بشكل كبير في حروف اللين ولعل ما يوضح ذلك هو ما ذكره ابن جني حين أورد تساؤلا عن السبب في كون المد لا يتمكن إلا فيما يجاور الطرف فقد قال ردا على هذا التساؤل: "إنما جيء بالمد في هذا الموضع لنعمته وللين الصوت به، وذلك أن آخر الكلمة موضع الوقف، ومكان الاستراحة والأنس فقدموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه، وما يخفض من غلواء الناطق ولذلك كثرت حروف المد قبل حرف الروي كالتأسيس والردف ليكون مؤذنا بالوقوف ومؤديا إلى الراحة والسكون وكلما جاور حرف المد الروي كان آنس به وأشد إنعاما لمستمعه".

(1)أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص 351-352.

ثمة قيمة إبداعية لحروف المد واللين التي كثر وقوعها في فواصل القرآن الكريم إذ تهيئ للوقوف والسكون وتمكن من الترنم ومدا الصوت وفي هذا ما يجعلها تحدث تأثيرا نفسيا شبيها بالتأثير الذي يحدثه اللحن الموسيقي وقد ثبت بالإحصاء أن عدد الفواصل المردوفة بالمد في القرآن كله هو 5165 منها: بالياء: 2672، بالواو: 2048، بالألف: 445.

كما ثبت أن الفاصلة الأثيرة في القرآن هي النون الساكنة المردوفة بواو أو ياء، فهذه الحروف تؤدي الوظيفة الإيقاعية وكذلك تؤدي وظيفة معنوية بلاغية»[1].

(1)أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص 352-353-354.

I- تعريف سورة المدّثر وذكر فضلها.

1- 1: تعريف وصفي سورة:

القرآن الكريم كلام الله المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام المتعبد به والمنقول إلينا بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة النّاس، أنزل القرآن ليكون المعجزة الخالدة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم- فهو شفاء ورحمة للعالمين، وبه أخرج النّاس من الظلمات إلى النور وهو كتاب الله العظيم أنزل على رسول عظيم، ولكل سور من سوره فضل عظيم.

نزلت السور والآيات في القرآن الكريم حسب مناسبات عُرِضَتْ للرسول – صلى الله عليه وسلم- بعد أن نزل القرآن الكريم إلى السماء السابعة –وسيشار إلى سورة المدّثر وفضلها «سورة المدّثر هي سورة مكية ترتيبها في المصحف الرابعة والسبعون، وعدد آياتها ست وخمسون آية.

جاءت تسميتها "المُدَّثِر" لحديثها عن بعض جوانب من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والمدّثر لا بس الدثار وأصلها المتدثر بمعنى المتغطي وهي إشارة إلى الحالة التي جاء فيها جبريل وهو على جبل حراء وناده الملك "يا محمد إنّك رسول الله،

كما في حديث جابر، ورجع إلى خديجة فقال "دثروني، دثروني" فنزل جبريل وقال: «يا أيها المدثر(1).»[1].

1- 2- فضل سورة المدّثر: سورة المدثر مكية، شأنها كسابقتها -سورة المزمل- تتحدث عن بعض جوانب من شخصية الرسول الأعظم، ولهذا سميت سورة المدّثر.

بدأت السورة الكريمة بتكليف الرسول بالنهوض بأعباء الدعوة والقيام بمهمة التبليغ بجد ونشاط، وإنذار الكفار، والصبر على أذي الفجار، حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه «يَا أَيُهَا المُدَّثِر (1)، قُمْ فَأَنْذِرْ (2)،وَرَبُكَ فَكَبِرْ (3)،وَثِيابَكَ فَطَهِرْ (4)، وَالرِجْزَ فَاهْجُرْ (5)، ولا تَمْنُنْ تَسْتَكثِرْ (6)، وَلِرَبِكَ فَاصْبِرْ (7)».

ثم توالت السورة تنذر وتهدد أولئك المجرمين ليوم عصيب شديد لا راحة لهم فيه لما فيه من أهوال وشدائد.

«فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورْ (8) فَذَلِكَ يَومَئِذٍ يَومٌ عَسِيرْ (9) عَلَى الكَافِرِينَ غَيرُ يَسِيرْ (10)».

وبعد ذلك التبيان الذي يرتعد له الإنسان تحدثت السورة عن قصة ذلك الشقي الفاجر - الوليد بن المغيرة- والذي سمع القرآن وعرف أنه كلام الله لكنّه في سبيل الزّعامة وحجب الرئاسة زعم أنّه من قبيل السحر الذي تفارقه البشر. «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيْداً(1)، وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لاً مَمْدُوداً(12)، وبَنِيْنَ شُهُوداً(13)، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيْداً(14)،

(1) مؤسسة ملتقى خطباء www.khutabaa.com، 10-4-2018.

ثُمَّ يَطْمَعَ أَنْ أَزِيْدَ(15)، كَلاّ إِنَّهُ كَانَ لآياتِنَا عَنِيداً، سَأُرْهِقُهُ صُعُوداً(17)، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرْ(18)، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرْ(19)، إلى قوله تعالى سَأُصْلِيْهِ سَقَرْ(20)»[1].

ثم تحدثت السورة عن النار التي أوعد الله بها الكفار وعن خزنتها الأشداء وزبانيتها الذين كلفوا بتعذيب أهلها، وعددهم والحكمة من تخصيص ذلك العدد. ﴿وما أدراك ما سقر(27)، لا تبقي ولا تذر(28)، للواحة للبشر(29)، عليها تسعة عشر(30)، وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾. إلى قوله تعالى: ﴿إلا ذكرى للبشر(31)﴾.

وأقسمت السورة بالقمر وضيائه، والصبح وبهائه على أنّ جهنم إحدى البلايا العظام ﴿كلا والقمر(32) والليل إذا أدبر(33) والصبح إذا أسفر(34) إنها لإحدى الكبر(35)، نذيرا للبشر(36)، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر(37)﴾.

ثم تحدثت السورة عن الحوار الذي يجري بين المؤمنين والمجرمين في سبب دخولهم الجحيم ﴿إلا أصحاب اليمين(39)، في جنات يتساءلون(40)، عن المجرمين(41)، ما سلككم في سقر(42)، قالوا لم نك من المصلين(43)، ولم نك نطعم المسكين(44)، وكنا نخوض مع الخائضين(45)﴾.

(1) محمّد علي الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن، مكتبية رجات، نهج روسيني، ساحة بورسعيد، الجزائر، 1963، مطبعة أمزيان، ص 267.

وختمت السورة لبيان سبب إعراض المشركين عن الإيمان ﴿كلا بل لا تخافون الآخرة(53)، كلا إنه تذكرة(54)، فمن شاء ذكره(55)، وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة(56)﴾[1].

II- دراسة التّناسب الصوتي في سورة المُدَّثِرْ:

تحتوي سورة المُدَّثِرْ على كلمات كثيرة مختلفة من حيث مخارج أصواتها، لكن هذا الاختلاف من حيث المخارج حقق لها تناسبا صوتيا، لهذا فقد اقتصرنا على اختيار بعض من هذه الكلمات في سورة المدثر، تفاديا للتكرار ولإعادة نفس الكلمات والأصوات، لهذا فقد توافرت ألفاظ كثيرة دلت عند إطلاقها في القرآن على مناسبتها للصوت ومناسبة الصوت لها بشكل دقيق وجميل، فجاءت الألفاظ متلبسة بأصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها. فهذا يمثل إعجاز في اختيار الألفاظ لمواضعها ونهوض هذه الألفاظ برسم الصور على اختلافها. فهذه الأصوات ذات أثر سمعي خاص الموحى إلى السمع بتأثيرات مستقلة فاللفظة القرآنية تقوم على الدّقة فكل لفظة نجدها في سورة المدّثر مختارة لتؤدي وظيفتها بدقة متناهية وجرسها القائم على أصواتها ولذلك يستحيل زحزحتها عن مكانها واستبدالها.

لهذا في التعديل من غير بعد شديد في المخارج وقري شديد يظهر بسهولته على اللسان، وحسنه للاستماع.

(1) محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص298.

1 ـ 1 ـ التناسب من حيث مخارج الأصوات: بعد أن عرضنا أهم الجوانب النظرية في الفصل الأول سننظر في هذا الفصل إلى ظاهرة التناسب الصوتي في القرآن الكريم وسنتخذ سورة المدثر مدونة نطبق عليها وسيكون عملنا كالآتي:

يظهر التناسب في الأصوات في سورة المدثر إما في اللفظة الواحدة أو في ألفاظ مؤلفة وذلك لاختلاف مخارجها وصفاتها وهذا التناسب والتآلف يحدث نغمة وحلاوة أثناء القراءة ومن بين الألفاظ المتناسبة في هذه السورة نذكر الآتية الأولى والتي يقول تعالى فيها ﴿يَا أَيُّهَا المُدَّثِر(1)﴾ نجد أن لفظة:

المدثر: مركبة من أصوات متباعدة من حيث المخارج وهذه هي علة تناسبها، فصوت (الميم) هو شفوي مجهور، وصوت (الدال) هو نطعي كما أنه مجهور، والصوت الذي يليه (الثاء) هو صوت لثوي مهموس، وصوت (الراء) هو صوت ذلقي مجهور أيضا، فباختلاف مخارج هذه الأصوات حدث تناسب صوتي في هذه اللفظة.

كما نجد الآية الثالثة والتي يقول فيها الله تعالى: ﴿وربّك فكبّر(2)﴾ تتضمن لفظة كبّرْ: هذه اللفظة مركبة من ثلاثة أصوات وهي: (الكاف) وهو صوت مخرجه طبقي كما أنه مهموس، و(الباء) وهو شفوي شديد، و(الراء) وهو صوت ذلقي مجهور، فالملاحظ هنا أن هذه الأصوات ورغم اختلاف مخارجها وصفاتها إلا أنها شكلت تناسبا وانسجاما صوتيا، يضفي حلاوة ورونقا على اللفظة.

إن الآية السادسة والتي يقول عزّ وجل فيها: ﴿ ولا تَمْنُنْ تَستكثِرْ(6)﴾ فيها لفظة: تمنُنْ: تتألف من صوت (التاء) ومخرجه لثوي أسناني مهموس، وصوت (الميم) وهو شفوي مجهور، وصوت (النون) وهو لثوي مجهور فبالتقاء هذه الأصوات المختلفة المخرج في هذه اللفظة نتج تناسب صوتي وتآلف وانسجام فيهم.

كما نجد الآية الثامنة عشر يقول الله تعالى: ﴿ سأرهقُهُ صعودًا(17)﴾ فلفظة:

صعودًا: فيها صوت (الصاد) الذي هو صوت لثوي أسناني مهموس متناسب مع صوت (العين) الذي هو صوت حلقي متوسطي فهذان الصوتان مختلفان من حيث مخرجهما لكنهما متناسبان. كذلك بالنسبة للآية الثانية والعشرين التي يقول تعالى فيها ﴿ ثُمّ عَبَسَ وبَسَرَ(22)﴾ تتضمن أصواتا متناسبة فلفظة:

بَسَرَ: تشتمل على أصوات: الباء والسين والراء فنجد أن صوت (الباء) شفوي شديد، والسين) لثوي أسناني، و(الراء) ذلقي مجهور، فالملاحظ هنا هذه الأصوات الثلاثة شكلت تناسبا وانسجاما صوتيا ونغما متآلفا.

وهناك أيضا الآية الخامسة والعشرون التي يقول تعالى فيها: ﴿ إنَّ هذا إلاّ قولُ البَشَرِ(25)﴾ فلفظة:

قوْلُ: فيها صوت (القاف) وهو صوت لهوي قلقلي، وصوت (الواو) هو صوت هوائي جوفي، وصوت (اللام) هو لثوي متوسطي، فهنا حدث تناسب وانسجام بين هذه الأصوات الثلاثة رغم اختلافها في المخرج.

ونجد الآية السابعة والعشرين من سورة المُدّثِرْ والتي يقول عزّ وجل فيها: ﴿لا تُبقي ولا تَذَرُ(27)﴾ تشتمل على أصوات مختلفة من حيث المخرج فلفظة:

تَذَرُ: فيها أصوات التاء والذال والراء، (فالتاء) هو صوت لثوي أسناني مهموس، و(الذال) هو صوت لثوي مجهور، و(الراء) هو صوت ذلقي مجهور فبالتقاء هذه الحروف المختلفة المخرج ينتج التناسب الصوتي والحلاوة والإطراب.

كما نلاحظ في الآية الثلاثين والتي يقول الله عزّ وجل فيها: ﴿ عليها تسعة عشرَ(30)﴾ والتي تتضمن لفظة:

تسعة: والتي تتألف من صوت (التاء) اللثوي الأسناني، المهموس، وصوت (السين) الذي هو أيضا لثوي أسناني رخوي، وصوت (العين)، الحلقي المتوسطي فنلاحظ أن هناك تناسبا صوتيا وانسجاما وتآلفا بين هذه الأصوات.

ونجد أيضا الآية الثانية والثلاثين التي يقول تعالى فيها: ﴿ كلاّ والقَمَرِ(32)﴾ فيها تناسب لأصواتها فنجد أن لفظة:

القمرِ: فيها صوت (القاف) اللهوي القلقلي يتناسب مع صوت (الميم) الشفوي المجهور، وكذلك يتناسب مع صوت (الراء) الذلقي المجهور. كذلك نجد الآية الرابعة والثلاثين يقول فيها عزّ وجل: ﴿ والصّبحِ إذا أسفَرَ(34)﴾ فيها لفظة:

الصُبْحِ: والتي تتألف من أصوات مختلفة المخرج وهي: (الصاد) وهو صوت لثوي أسناني مهموس، وصوت (الباء) وهو صوت شفوي شديد، وصوت (الحاء) وهو صوت حلقي فهذه الأصوات شكلت تناغما في هذه اللفظة.

ونذكر أيضا الآية الرابعة والأربعين والتي يقول تعالى فيها: ﴿ ولم نَكُ نُطعم المسكين(44)﴾ بأن فيها لفظة:

نُطعِمُ: والتي تتكون من صوت (النون) اللثوي المجهور، وصوت (الطاء) الأسناني الشديد، وصوت (العين) الحلقي المتوسطي، وصوت (الميم) الشفوي المجهور، فهذه الأصوات هي متباعدة المخارج ومختلفة الصفات ولكنها شكلت تناسبا وانسجاما صوتيا نكتشفه أثناء القراءة.

وتوجد أيضا الآية الخامسة والأربعون والتي يقول فيها تعالى: ﴿وكنّا نخوض مع الخائضين(45)﴾ تناست لأصواتها فنجد أن لفظة:

نَخوضُ: فيها صوت (النون) اللثوي المجهور يتناسب مع صوت (الخاء) الطبقي المهموس، ومع صوت (الواو) الهوائي الجوفي وكذلك مع صوت (الضاد) اللثوي الأسناني المجهور.

وسنلخص ما ذكرناه في ما مضى من البحث والدراسة في الجدول التالي والذي يبين تناسب مخارج الأصوات، بحيث أننا قسمناه "إلى عشرة أعمدة فذكرنا في العمود الأول الكلمة التي إستخرجناها من السورة ثم من العمود الثاني إلى التاسع ذكرنا الأصوات ومخارجها وأخيرا في العمود العاشر ذكرنا تناسب مخارج هذه الأصوات وهي كالآتي:

			المخـــارج						
الكلمة	الصوت1	المخرج	الصوت2	المخرج	الصوت3	المخرج	الصوت4	المخرج	تناسب الأصوات
المدّثر	م	شفوي	د	نطعي	ث	لثوي	ر	ذلقي	نطعي+ شفوي+ لثوي+ ذلقي
كبر	ك	طبقي	ب	شفوي	ر	ذلقي			طبقي+ شفوي+ ذلقي
تمنُنْ	ت	لثوي	م	شفوي	ن	لثوي			لثوي مع الشفوي
بَسرَ	ب	شفوي	س	لثوي	ر	ذلقي			شفوي مع لثوي ذلقي
قولُ	ق	لهوي	و	هوائي	ل	لثوي			لهوي مع هوائي مع لثوي
تذرُ	ت	لثوي	ذ	لثوي	ر	ذلقي			لثوي مع ذلقي
تسعة	ت	لثوي	س	لثوي	ع	حلقي			لثوي مع حلقي
القمر	ق	لهوي	م	شفوي	ر	ذلقي			لهوي مع شفوي مع ذلقي
الصبح	ص	لثوي	ب	شفوي	ح	حلقي			لثوي مع شفوي مع حلقي
نطعم	ن	لثوي	ط	أسناني	ع	حلقي	م	شفوي	لثوي مع أسناني مع حلقي مع شفوي
نخوض	ن	لثوي	خ	طبقي	و	هوائي	ض	لثوي	لثوي مع طبقي مع هوائي

الجدول: رقم 1 جدول يوضح تناسب الأصوات من حيث مخارجها.

			الصفات						
الكلمة	الصوت1	المخرج	الصوت2	المخرج	الصوت3	المخرج	الصوت4	المخرج	تناسب الأصوات
المدّثر	م	مجهور	د	مجهور	ت	مهموس	ر	مجهور	تناسب الجهر مع الهمس
كبر	ك	مهموس	ب	شديد	ر	مجهور			المهموس مع الشديد مع المجهور
تمنُنْ	ت	مهموس	م	مجهور	ن	مجهور			المهموس مع المجور
بَسرَ	ب	شديد	س	رخوي	ر	مجهور			الشديد مع الرخوي مع المجهور
قولُ	ق	قلقلي	و	جوفي	ل	متوسطي			القلقلي مع الجوفي مع المتوسطي
تذرُ	ت	مهموس	س	رخوي	ع	متوسطي			المهموس مع المجهور
تسعة	ت	مهموس	س	رخوي	ع	متوسطي			المهموس مع الرخوي مع المتوسطي
القمر	ق	قلقلي	م	مجهور	ر	ذلقي			القلقلي مع المجهور مع الذلقي
الصبح	ص	مهموس	ب	شديد	ح	مهموس			المهموس مع الشديد
نطعم	ن	مجهور	ط	شديد	ع	متوسطي	م	مجهور	المجهور مع الشديد مع المتوسطي
نخوض	ن	مجهور	خ	مهموس	و	جوفي	ض	مجهور	المجهور مع المهموس مع الجوفي

الجدول: رقم 2 جدول يوضح تناسب الأصوات من حيث صفاتها في سورة المدثر.

1 2 تناسب الفواصل في سورة المدّثر:

إن التناسب الصوتي في القرآن لا يكمن فقط في مخارج الأصوات بل يكون من حيث الفواصل أيضا ولتوضيح ذلك نذكر الآيات الكريمة التالية من سور المدّثر التي تبين تناسب الفواصل القرآنية، حيث يقول فيها الله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر(1) قم فأنذر(2) وربك فكبّر(3)، وثيابك فطهر(4)، والرّجز فاهجر(5) ولا تمنن تستكثر(6)، ولربك فاصبر(7)﴾. المدثر (1-7).

فالفاصلة التي تنتهي بها هذه الآيات تتألف من مقطع يتكون من صوت الراء والصوت الذي قبل الراء متحرك (الكسرة) فهذين الصوتين (الراء الساكن) وما قبله متحرك أدى وظيفة إيقاعية دلالية، أما الأولى فيؤديها صوت الراء الساكن، بمقدار متناسب في جميع الآيات، أما الثانية فيؤديها بإسهام في الإيحاء وذلك فعل الأمر حيث أمر الله عزّ وجل الرسول صلّى الله عليه وسلم بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية فتقدم بالأمر له بالعبادات والصبر على أذى قومه، وأمره بإعلان الدعوة والصدع بالإنذار والثياب طهر من النجاسة، والرجز فاهجر والابتعاد عن عبادة الأصنام، ففعل الأمر أحدث حلاوة في الإيقاع وبلاغة في الآيات كما نذكر في الآيات الآتية تناسبا للفواصل القرآنية ولكن بمقاطع صوتية مختلفة حيث يقول عزّ وجل في هذه الآيات: ﴿ فإذا نقر في الناقور(8) فذلك يومئذ يوم عسير(9) على الكافرين غير يسير(10)﴾ (8-10).

فالفاصلة التي تنتهي بها هذه الآيات تتألف من مقطع مركب يتكون من صوت الراء وما قبلها كسرة طويلة (الباء)، فهذا مقطع طويل مغلق بالإضافة إلى الحرف الساكن الراء المسبوق بضمة طويلة. التناسب بين الفواصل أحدث وظيفة إيقاعية فالراء صوت مجهور فكل هذه المقاطع تنتهي بمقطع طويل مغلق. وسنلخص ما ذكرناه في جدول قسمناه إلى عمودين، حيث ذكرنا في العمود الأول الكلمات التي تمثل التناسب من حيث الفواصل، أما العمود الثاني فذكرنا فيه فواصل هذا الكلمات.

جدول رقم 3 يبين تناسب الفواصل في الآيات الأولى (1-10).

الكلمة	الصوت
-المدّثر	-الراء
-أنذر	-الراء
-طهر	-الراء
-اهجر	-الراء
-تستكثر	-الراء
-اصبر	-الراء
-الناقور	-الراء
-عسير	-الراء
-يسير	-الراء

إن الآيات التالية التي سنذكرها تتضمن أيضا تناسبا للفواصل القرآنية حيث يقول الله تعالى فيها: ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا(11) وجعلت له مالاً ممدودا(12) وبنين شهودا(13) ومهدت له تمهيدا(14) ثم يطمع أن أزيد(15) كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا(17)﴾. (11-15).

تنتهي هذه الآيات بفاصلة مؤلفة كذلك من مقطع مركب من صوت متحرك هو الدال ومن صوتين ممدودين هما الياء والألف أو الواو والألف، والآيات في توعد رجل الكفر نعمة الله، فلم يقدرها حق قدرها بدأت ببيان ما أكرم الله به ذلك الرجل من النعم الكثيرة وما أضاف عليه من الخير النعم، وجاءت الفاصلة المشتملة على صوتين ممدودين لتسهم في الإيحاء بصورة النغمة السابقة والكرم الغامر، لأن امتداد الصوت مرتين في نهايات هذه الآيات القصيرة يسمح للإيقاع الممدود بالوضوح التام في الأسماع، فيوحي إليها بصورة الامتداد والاتساع وهي صورة المعنى المقصود، هكذا يتضح كيف تؤدي حروف اللين التي تكثر في فواصل القرآن وظائفها الإيقاعية والمعنوية في بلاغة الآيات.

الجدول 4: يوضح تناسب فواصل الآيات من (11 إلى 17).

الكلمة	الصوت
وحيدا	الدال والألف
ممدودا	الدال والألف
شهودا	الدال والألف
تمهيدا	الدال والألف
عنيدا	الدال والألف
صعودا	الدال والألف

ومن أمثلة تناسب الفواصل في سورة المدثر نذكر هذه الآيات أيضا: قال تعالى: ﴿إنه فكّر وقدّر (18) فقتل كيف قدّر(19) ثم قتل كيف قدّر(20) ثمّ نظر(21) ثم عبس وبسر(22) ثم أدبر واستكبر(23) فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر(24) إن هذا إلا قول البشر(25)، سأصليه سقر(26)، وما أدراك ما سقرُ(27)، لا تبقي ولا تذرُ(28)، لواحةٌ للبشر(29) عليها تسعة عشر(30) وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكةً وما جعلنا عدّتهم إلا فتنةً للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرضٌ والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يظل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربّك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر(31) كلاّ والقمر(32)، والليل إذا أدبر(33) والصبح إذا أسفر(34)، إنها

لإحدى الكبر(35) نذيرا للبشر(36)، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر(37)﴾. (18-37).

فأغلب هذه الآيات تنتهي بفاصلة مؤلفة من مقطع مركب من صوت متحرك هو الرّاء، فالراء هنا أدى وظيفة إيقاعية لأن كل من هذه الآيات تنتهي بهذا الصوت القوي الذي يحدث أثرا طبيعيا في النفس فلا يجد إلا قرار والاستجابة.

فكل الآيات استخدم فيها حرف الراء كفاصلة وذلك بسبب العذاب الشديد والعقاب في الآخرة وما يناله الكافر وظاهرة نفوره من الحق بعضا له.

لهذا فإن صوت الراء صوت مجهور وقوي واستخدامه في بعض الآيات ليعبر عن غضب الله من المشركين فهو يتوعدهم بالعذاب الأليم.

جدول رقم 5: يوضح تناسب الفواصل في الآيات (37).

الكلمة	الصوت
-قدّر	-الراء
-نظر	-الراء
-بسر	-الراء
-استكبر	-الراء
-يؤثر	-الراء
-البشر	-الراء
-سقر	-الراء
-تذر	-الراء

نذكر فيما يلي آيات آخر من سورة المدثر والتي تتضمن أيضا تناسب فواصل قرآنية حيث يقول الله تعالى في هذه الآيات: ﴿كلّ نفس بما كسبت رهينة(38)، إلا أصحاب اليمين(39)، في جنات يتساءلون(40) عن المجرمين(41)، وما سلككم في سقر(42) قالوا لم نكُ من المصلّين(43)، ولم نك نطعم المسكين(44)، وكنا نخوض مع الخائضين(45)، وكنّا نكذب بيوم الدّين(46) حتى أتانا اليقين(47)، فما تنفعهم شفاعة الشافعين(48)، فما لهم عن التذكرة معرضين(49)﴾. (38-49).

تنتهي هذه الآيات بفاصلة مركبة مؤلفة من مقطع مركب من صوت النون المسبوق بكسرة طويلة.

ففي هذا التناسب بين الفواصل يحدث إيقاع نغمي وتوافق حركي بين الآيات فكل هذه الآيات تتحدث عن ندم المشتركين، لذلك استخدمت حروف اللين كفواصل هنا.

جدول 6: يمثل تناسب رؤوس الآيات من (38-48).

الكلمة	الصوت
-اليمين	-الياء + النون
-المجرمين	-الياء + النون
-المصلين	-الياء + النون
-المسكين	-الياء + النون
-الخائضين	-الياء + النون
-الدين	-الياء + النون
-اليقين	-الياء + النون
-الشافعين	-الياء + النون
-معرضين	-الياء + النون

توضح الآيات التالية بعض الفواصل التي تتضمنها سورة المدثر والتي نجدها أنها قد شكلت تناسبا صوتيا، حيث يقول الله تعالى فيها: ﴿كأنهم حُمرٌ مستنفرةٌ(50)، فرّت من قسورة(51)، بل يريد كلّ امرئ منهم أن يؤتي صحفا منتشرة(52) كلا بل لا يخافون الآخرة(53) كلا إنها تذكرة(54) فمن شاء ذكره(55) وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة(56)﴾. (50-56).

فالفاصلة التي تنتهي بها هذه الآيات مركبة من مقطع صوتي هو الراء المتحرك والتاء المربوطة.

جدول رقم: 7 يوضح تناسب الفواصل في الآيات من (50-56).

الكلمة	الصوت
-مستنفرةٌ	-الراء + تاء مربوطة
-قسورةٌ	-الراء + تاء مربوطة
-منشرةٌ	-الراء + تاء مربوطة
-الآخرة	-الراء + تاء مربوطة
-تذكرةٌ	-الراء + تاء مربوطة

وهكذا تأتي الفاصلة التي هي جزء من الآية جامعة بين محاسن الصياغة وبلاغة المعنى بإحكام، ولا يجوز أن يقال أن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة مراعاة لتناسب الفواصل وحده ولا لبلاغة المعنى وحده، بل الذي يليق بكما له وجلاله أن يقال: إنه يختار ما يختار من ذلك لأنه الأبلغ في موضعه والأوفق في نسقه.

خاتمة:

بعد القراءة والدراسة والبحث المتواصل والجاد حول موضوع "التناسب الصوتي في القرآن الكريم" الذي يعد سببا في انسجام الآيات القرآنية وتآلفها على اختلاف أصواتها، قد اتضح أن التناسب الصوتي يتحقق في سورة "المُدَّثر" بالوسائل التالية:

أ- من حيث مخارج الأصوات وصفاتها، فهذه الأصوات حتى وإن كانت مخارجها متباعدة أو صفاتها مختلفة إلا أنها تؤدي وظيفة جمالية وهي التناسب فيما بينها.

ب- من حيث الفواصل القرآنية، حيث أن انتهاء هذه الآيات بأصوات متشابهة من حيث المقاطع والإيقاع أسهم بشكل جمالي في إفهام المعاني وإحداث حلاوة ورونق أثناء القراءة أو الاستماع.

ما يمكن قوله هو أن دراستنا تناولت هذه العناصر بشيء من التفصيل فأوضحت كيفية تناسب الأصوات وانسجامها مما يؤدي إلى تلذذ الأسماع بها وارتياح النفوس لها.

بهذا ينتهي عملنا ونرجو أن يكون مكللا بالتوفيق والنجاح، ونأمل أن نكون قد استطعنا أن نجمع ما تتطلبه دراسة موضوع "التناسب الصوتي في القرآن الكريم" فلنا عظيم الشرف الاعتزاز لأننا قمنا بدراسة موضوع يتعلق بالقرآن الكريم الذي يُعد أعظم كتاب أنزل على البشرية جمعاء.

قائمة المصادر والمراجع:

1 المصحف الشريف برواية حفص.

2 إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 4، 1999.

3 إبراهيم جميل محمد إبراهيم، أثر التناسب الصوتي في الإعراب، دراسة تطبيقية على آيات من القرآن، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، الدمام، ط 2، 1922، 2005.

4 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 2004-2005.

5 أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن الكريم، مطبعة النجاح، دار عمان الأردن، ط1، 2012.

6 أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط 1، 2003.

7 أحمد يحي محمد، التناسب في سورة محمد، دراسة بلاغية، آداب الرافدين المدنية، ط5، 2011.

8 بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، محمد، ج 1، دار إحياء الكتب العربية البابلي، ط1، 1376-1957.

9 -البقاعي، نظام الدرر في تناسب الآيات والسور ، ج 1، دار الكتب الإسلامي القاهرة ، 1404 هـ.

10-تحسين فاضل عباس، الانسجام الصوتي في النّص القرآني، دار رضوان، عمان، ط1، 2012.

11- حسام البهنساوي، الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث.

12-سيبويه، الكتاب ،عبد السلام محمد هارون، ج 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982.

13- صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2006.

14- عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن، منظور علم الأصوات الحديث.

15-عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار الصفاء، عمان، ط1، 1998.

16- عثمان ابن جني، الخصائص، ج1، المكتبة العلمية، د ن، مصر، 1952.

17-علاء جبري، المدارس القرآنية عند العرب، النشأة والتطور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

18- فدوى محمد حسان، أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.

19- الفراهيدي الخليل بن أحمد ا، كتاب العين، تح ،عبد الحميد الهنداوي، ج 4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

20- قاسم البراسيم، علم الأصوات العربي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 2005.

21- محمد علي الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن، مكتبة رجاث بورسعيد، الجزائر، 1963.

22- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروض، ج4، دار الهداية، ط2.

23-محمود عكاشة، أصوات اللغة الأكاديمية الحديث للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005.

24- نايف سليمان، مستويات اللغة العربية، دار الصفاء، القاهرة، ط1، 2000.

25- نور الدين عصام، علم الأصوات اللغوية، الفونيتيكا، دار المكر اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1996.

موقع الانترنت:

مؤسسة ملتقى خطباء www.khutabaa.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء.....	–
مقدمة.....	05
الفصل الأول: الجانب النظري: التناسب الصوتي	09
I- تعريف التناسب الصوتي (لغة واصطلاحا)	09
1– تعريف التناسب (لغة واصطلاحا)	11
1–2– تعريف الصوت (لغة واصطلاحا)	12
1–3– مفهوم التناسب الصوتي.....	15
II– علم الأصوات.....	16
1–1– كيفية حدوث الصوت.....	16
1–2– صفات الأصوات.....	17
1–3– مخارجها.....	23
III- التناسب الصوتي في القرآن الكريم	27
1–1– تأليف الأصوات وتناسبها	27
1–2– الفاصلة القرآنية.....	33
1–3– القيمة البلاغية والإيقاعية للفاصلة القرآنية	36

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي: دراسة تطبيقية لسورة المدّثر	40
I- تعريف السورة وفضلها	40
1-1- تعريف وصفي للسورة	40
1-2- فضل سورة المدّثر	41
II- دراسة التناسب الصوتي في سورة المدّثر	43
1-1- التناسب من حيث مخارج الأصوات وصفاتها	44
1-2- التناسب من حيث الفواصل	51
خاتمة.....	60
قائمة المصادر والمراجع.....	63